

شرف المهنة في محنة !

كمال لازار بطرس

فنون الرشوة والسمسة. أو قد يكون سبب إيفاده: هو مساعدته على تهريب ما وقع في قبضته من السحت الحرام، لإيداعه في احد البنوك خارج القطر أو لغرض استثماره هناك في شراء شقة أو عمارة...

والأنكى من كل هذا، عندما يتكلم هذا اللص الأرعن ويُدلي بتصريح، يستهل كلامه بالحديث عن النزاهة وشرف المهنة، وعن الوطن والاشعاع والحضارة والتقدم..!

وإذا ما امعن في ارتكاب المخزيات والمحرمات، واظهر براعة اوسع في السرقة والإحتيال، كان تكريمه اكبر وثوابه اعظم .

وبعد كل هذا، الناس تتساءل: لماذا حل بنا ما حل، ولماذا صار الذي صار، ولماذا كل هذا الانحدار، وهذا الانهيار في كل إتجاه وعلى كل صعيد ومسار؟! يا لها من مفارقة عجيبة!

أولسنا نحن في زمن العجائب؟ الزمن التعيس الذي إنقلب فيه المقاييس، رأساً على عقب أو عقياً على رأس أو رأساً على رأس أو عقياً بدون عقاب، فأين تكمن الغرابة إذا؟

المعروفة وخيانتنا الموصوفة مخفي دائماً، مستتر، غير معروف. هذا من ناحية المسؤولية والشعور بها. اما من ناحية العقاب الذي يجب أن يُنزل بالمسيء أو المرتشي أو الخائن أو المجرم، فمسلكتنا من الشهرة والوضوح، بحيث لا نحتاج إلى اعطاء شواهد عليه... فالشواهد لا تُعطى على وجود الليل والنهار أو الشمس والقمر .

عندنا الموظف الذي يثبت ارتكابه للإرتشاء العلني والسرقة المكشوفة والاحتيال المفصوح، واستغلال كل شيء لمصلحته، ضد القانون وضد المجتمع وضد الوطن بكل المعاني ومن جميع النواحي، ويثبت خلوه من ادنى نصيب من الشرف والضمير والخلق، هذا الموظف بدلاً من أن يُطرد ويُحاكم وتؤمّم امواله المسروقة ثم يُعلّق من إحدى رجليه على شجرة يابسة على قارعة الطريق، ليكون عبرة لسواه من الخونة واللصوص، والسماصرة، هذا الموظف يُكرّم ويُكافأ ويُرقى ويُرسَل في بعثة إلى خارج القطر، لا ادري لماذا...

ربما لكي يتدرب ويطلع على احدث اساليب النصب والإحتيال، وعلى كل ما استجد من

مهما اجتهدت السلطات المختصة في وضع القواعد والقوانين لتنظيم تصرفات موظفي الدولة أو اصحاب المهن الحرة، فإنّ الضمير المهني يبقى العامل الأساسي الذي لا غنى عنه في هذا المجال.. ذلك انه في غياب الأخلاق، وفقدان كرامة المهنة، قد يتحول الموظف إلى مستغل ومستثمر للوظيفة التي يشغلها، كما يتحول صاحب المهنة الحرة إلى تاجر جشع، وفي بعض الأحيان إلى مصاص دماء أو مجرم بحق المجتمع الذي يعيش فيه.

وما يلفت النظر إليه من أمور فإنّ الأمر الأهم والأجدر بالذكر هو الشعور بالمسؤولية لدى قلة قليلة من البشر، هذه القلة التي تعمل بهدوء وصمت وسرعة بوحى هذا الشعور...

ما الذي يحصل عندنا بالضبط؟ عندنا نحن، كل خطأ يُرتكب، صغيراً كان أم كبيراً، لابد أن يكون السبب فيه غير مرتكبه... فإما أن يقع اللوم على شخص آخر أو جهة أخرى أو على طرف مجهول!

السبب في اخطائنا المقصودة و اغلاطنا المشهودة وسرقاتنا المكشوفة وسمسراتنا

أهكذا يكون الانصاف؟!



ان اجمل واصدق ما في الحياة هي المواقف النبيلة والمشرقة في السراء والضراء وقول كلمة حق و فاء تجاه الآخرين. وسأجعل هذا المبدأ الاخلاقي الرفيع مدخلا لمقالاتي هذه التي فيها بعض من السرد التاريخي المعاصر .

ليس خافيا على احد مكانة بلدة عنكاوا الحضارية والتاريخية والمواقف الانسانية النبيلة والوطنية المشرفة لاهلها الطيبين عبر التاريخ، هذه البلدة المسيحية الوادعة التي اقترن اسمها بمعاني المحبة والتآخي والسلام، التي لم يتخل يوما بعبثاتها المجاني لكل غريب التجأ اليها أو صديق قصدها بحثا عن الأمان والطمأنينة.

الكل يتذكر الوقفة المشرفة والشجاعة لاهالي عنكاوا الكرام إزاء العوائل الكورديّة التي تمّ ترحيلها قسرا من قبل النظام البائد من قراها ورميها في العراء في ليلة ليلاء في منطقة (بحركة و جزنيكان وبردحشتر) دون رحمة أو شفقة، ومنذ وصول الاخبار الى اهالي عنكاوا عن الاحوال الصعبة لتلك العوائل، إنتخى اهلها صغارا وكبارا نساء ورجالا لجمع الكسوة والمأكّل والافرشة والادوية ونقلها اليهم تحت جنح الظلام و غزارة المطر متحدين تهديدات جلوزة النظام والعيون المتربصة بهم. الكل يتذكر كيف فتحت عنكاوا ذراعيها في منتصف التسعينيات بعد حوادث شقلاوا الاليمة و تلقت اخوتنا من اهالي شقلاوة الذين قصدها واحتضنتهم بحفاوة وحنان كبيرين واستقبلتهم استقبال الاهل الاعزاء المكرمين، ومنذ الوهلة الاولى اصبحوا بين اهلهم و احبابهم و اندمجوا ببساطة في الحياة الاجتماعية مع بقية اهالي المنطقة وطاب لهم المقام والعشرة الطيبة و استقروا بشكل دائم فيها بعدما منحوا قطع اراض سكنية اسوة باهالي عنكاوا، حتى بعد ان زالت الغمة عنهم والحمدلله، واستبشّر اهل عنكاوا بهم خيرا .

وبعد ذلك قصدها الكثير من العوائل المسيحية من مناطق عفرة و ديانا وهاواديان وحتى من مركز أربيل من شورش الخ) بحثا عن فرص عمل و ظروف معيشية أفضل، واستقروا فيها معززين مكرمين بعدما نالوا كل الحب والاحترام والحقوق اسوة بغيرهم من اهل المنطقة.

وقبل بضعة اعوام شهدت عنكاوا كغيرها من المناطق المسيحية في اقليم كردستان موجة نزوح كبيرة وخاصة بعد اشتداد اعمال العنف في مدن بغداد و الموصل والبصرة، وكانت لعنكاوا حصّة الاسد من هذا النزوح، وكما عهدناهم اهلها كرام لم يخلوا ابدا بمد يد العون والكرم الى هؤلاء الاخوة لتخفيف معاناتهم و الامهم وخاصة الفقراء منهم، كذلك ساهمت في هذا العمل الخير، لا بل هذا الواجب الانساني، الكنيسة، و كذلك العديد من الخيرين من ابناء شعبنا الميسوري الحال، وللأسف الشديد تزامن نزوح هذه العوائل مع غلاء معيشي منقطع النظير لم تشهد مثله المنطقة مطلقا، حيث ارتفعت اسعار المحروقات بشكل خيالي مصحوبة بازمامات حادة لتلك المواد، اضافة الى تمركز مئات الشركات والمنظمات في المنطقة وبيوت المسؤولين، ادى الى زيادة الطلب في السوق واحداث قفزة اخرى في الاسعار، كما هو معروف ان معظم اهالي عنكاوا هم ذوو دخل محدود، كان لايد من ايجاد مصادر اخرى للعيش لضمان معيشتهم في ظل هذا الغلاء الفاحش، لذلك التجأوا الى تأجير دورهم و السكن في دور اقل رفاهية ليستفيدوا من فارق الالجار في تدبير معيشتهم.

هذا الزخم السكاني الكبير والمتنوع المصادر وغياب القدرة التنظيمية والرقابة التجارية، جعل البلدة واهلها امام وضع اقتصادي، و انساني صعب، تزامن هذا الغلاء مع استمرارية نزوح الاف العوائل اليها، ان هذا الواقع الصعب والمعقد ليس من صنع اهالي المنطقة بل واقع مرير مفروض عليهم، مما يزيد الموقف مرارة عندما يفهم أو يؤول من قبل الآخرين وخاصة الوافدين الجدد، بان اهل عنكاوا استغلاليون وجشعون ومحبو المال، ويصرحون بذلك وللأسف الشديد في الوسائل الاعلامية ومن المنابر المختلفة دون تحليل واقعي ومنصف للامور، ضاربين بعرض الحائط كل الجهود الخيرة لاهل عنكاوا من اجل مساعدة الوافدين اليها. استغرب من مواقف البعض ممن عاشوا بيننا منذ عشرات السنين، بان ينتكروا ويتبرأوا من انتمائهم الى عنكاوا في الضراء ويتعاملوا بلامبالاة و بمواقف صفراء تجاه ذلك، في حين يتأصلون في انتمائهم لها في السراء وعند مواقف المديح.

كم كانت مريرة وثقيلة على ضمير اهل عنكاوا تلك الايام والليالي التي قضوها في دورهم وتحت رحمة القدر في الأشهر الاخيرة قبل سقوط النظام البائد، بعدما غادرتهم معظم العوائل التي احتضنها كاحتضان الام لأولادها ورحلت عنهم الى مناطقها وقراها التي تركتها يوما، وتركتهم وحيدون تحت حوافر الخطر .

علينا جميعا نحن اهالي عنكاوا، انا اقصد هنا كل من سكن واستقر من اخوتنا المسيحيين في عنكاوا خلال العقدين الاخيرين من اي مكان قدموا أو اتوا، لانهم حلوا مكان اخوتنا واهلنا الذين هاجروا تحت ظروف صعبة، ان يكون انتمائنا لبلدنا الجميلة انماء اصيلا لا تشويه شائبة، ونتجنب المواقف الفردية الشاذة اللامسؤولة والمصالح الفردية، وان نتحاور بكل شفافية و صدق لازالة كل اشكال الانتباس والغموض قبل اتخاذ مواقف غير مدروسة وغير ناضجة، وان نكون قلبا واحدا ويدا واحدة في السراء والضراء.

رونڊ بولص

rawandbaython@hotmail.com

ومضة

تريمة الألف الثالث ... !

الإيمان والعقل هما بمثابة جناحين يمكنان الإنسان من الارتقاء إلى تأمل الحقيقة. وبمقدار ما يعرف الإنسان الحقيقة والعالم، يعرف ذاته. المعرفة هي جزء من حياتنا، والإنسان يسعى إلى امتلاكها بدافع من رغبته في اكتشاف الحقيقة. لما بدأ الإنسان يسأل عن علة الأشياء، وُلدت الفلسفة حينها. الفلسفة المعاصرة ركزت انتباهها على الإنسان، وهي في الوقت ذاته، تحمل المسؤولية في تنشئة الفكر والثقافة، بالدعوة الدائمة في إلتماس الحقيقة. بمقدور العقل السوي أن يدرك ويصوغ المبادئ الأساسية والشاملة، ويستخلص منها النتائج المتناسكة على صعيد المنطق والأخلاق. نرى من جهة أن الفكر الفلسفي قد أفلح في اكتشاف الطريق التي تقربه أكثر فأكثر من الوجود البشري في مختلف تعابيره، الا اننا نرى من جهة أخرى، أنه ينزع إلى تنمية اعتبارات وجودية وتفسيرية ولغوية، تطمس السؤال الجوهرية في شأن حقيقة الحياة الشخصية، وحقيقة الكيان. في المدة الأخيرة أخذت تتفاقم بعض التعاليم النازعة إلى الحط من قيم الحقائق التي كان الإنسان قد تنبّث من بلوغها. وان كانت المعرفة الفلسفية تعتمد الإدراك الحسي والاختبار، وتتمو في ضوء العقل؛ إلا أن هناك ما يتخطى الحقائق التي يستطيع العقل الطبيعي أن يحصلها. هذه هي مزية الإيمان. معرفة العقل ومعرفة الإيمان لا يختلطان، وان كانت الواحدة لا تغني عن الأخرى. بإمكان الإنسان أن يهتدي طريقه في ضوء العقل، ولكنه إن وضع بحثه في منظور الإيمان، وخلصت نيته، يصبح بمقدوره أن يجتازه بلا عائق. وإذا نظر الإنسان إلى ما هو أبعد من ذاته، ورفع بصره إلى ما هو أسمى من مخططاته، فسيحظى عندئذ بما يمكنه من العثور على الطريق الذي يوصله إلى الحقيقة المنشودة. الإيمان والعقل إذن لا يمكن الفصل بينهما، بدون أن يفقد الإنسان قدرته على أن يعرف ذاته، ويعرف الله معرفة وافية.

العقل مقدّر حق قدره، لا فوق قدره. وكل ما يتوصّل إليه العقل وان كان صحيحاً، لكنه لا يكتسب ملء معناه إلا إذا وُضع محتواه في رؤية الإيمان. لما أخرج الإنسان الأول من جنة عدن، بعد أن زالت قدرته على أن يرتقي إلى الله الخالق، أظلمت قدرته على معرفة الحقيقة. فالإنسان إلا إذا ما استضاء بنور الإيمان، عندها يكتشف في كل شيء معناه الأعماق، وبالأخص معنى وجوده. بغياب الإيمان يصبح الإنسان عرضة كي يتوهم امتلاكه للمعرفة الشاملة، وهذا بعد ذاته يضيق على خناقها. هنا يكمن الفرق بين العقل والإيمان. عندما يسير الإنسان نحو معرفة غاية الأشياء من كل جوانبها، وينطلق في البحث عن الجواب الأقصى والأشمل، عندئذ يبلغ العقل البشري ذروته ويفتح على معنى التدين. هذا التدين هو أرقى تعبير عن الشخص البشري، لأنه قمة الطبيعة العاقلة. والعقل إن عجز من أن يحكم في محتوى الإيمان، فلأنه غير مؤهل لذلك. العقل إذا لم يواكبه إيمان بالغ، لا يعود يهتم لما هو جديد وجذري في الحياة. كذلك الإيمان بازاء عقل ضعيف، معرض لأن يتحول إلى أسطورة. رجال العلم يعون وعياً جيداً أن إلتماس الحقيقة ليس له نهاية، ويردنا دوماً إلى ما هو أرقى من موضوع البحث المباشرة، أي إلى المسائل التي تفضي إلى عمق ما هو مكنون. فعضش الإنسان إلى بلوغ الحقيقة هو من التجذر في قلبه، بحيث لا يمكن صرف النظر عنه، دون أن يصبح الوجود في أزمة.

في أزمنة مختلفة، وبطرق متعددة، قد برهن الإنسان أنه يستطيع أن يعبر عن قدرته على الارتقاء فوق الزائل، من خلال منتوجات عقله الخلاق كالأدب، الموسيقى، الرسم، النقش، الهندسة، والأنماط العلمية والفلسفية. فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتميز بالقدرة على التعلم، ويعلم أيضا كيف يُعلم. فهو يهتم بحقيقة ما يبدو له، إذا اكتشف زيفه أردله؛ وإذا استطاع أن يتحقق صوابه، غمره بالرضى. ثم أن هناك واجبا أدبيا يلزم الباحثين عن الحقيقة جميعاً، وهو أنهم إذا وجدوا عليها أن يعتقوها...

سعيد لوقا

(مستخلصة عن رسالة الإيمان والعقل: للبابا يوحنا بولس الثاني)

عنكاوا في القلب....

يامن ترعرت في الضمير حبا لاهيا رغم الماسي
انتبّ الحلم وانتبّ الأمل وانتبّ عبق التاريخ..
انت الحزن في الاغنيات والترانيل التي تصدح بها
حناجر الفقراء

سوف تيقن في صميم الذاكرة وصحوة الطفولة
عند استعادة اصوات الاباء والاجداد في صلواتهم
في (مريمانة .. ومارت شموني، ومار كوركيس
القديم)

انت اشراق الطرقات في خطوات ابناك
الكادحين، الذين كذوا العمر كله من اجل الكلمة
الشريفة واللقمة الحلال

هاقد اصبحت ايتها الحبيبة تكبرين مع الايام
وصرت اقوى واجمل...

عنكاوا الكل بات يعيشك!
ولكن أه من زمن اللامعقول !

هجرك أهلك .. وتركوا كل شيء وتاهوا في
دروب الارض!

تحملوا وتحملنا معهم رياح الحزن والترحال من
منفى الى منفى، الى ان عصف بك الذين يملكون،
يزرعون ويحصدون، يبيعون ويشتررون، يتطاولون
وفي الظهر يطعنون

اما انت فتبكيين النائحات على مذلات
(بعضهم)!!

اما رجالك فحناجرهم قد جفت من الشكوى ...
ولكن هل من مجيب؟..

تعرفين ايتها الجميلة ان الذي يفرط بشير منك،
انما يفرط بعرضه وشرفه ونفسه..

ولكن لا وألف لا سوف نحرسك بقلوبنا وحنقات
عيوننا ...

لان فيك يا عنكاوا يهون الصعب
وفيك ايتها الحبيبة نجد التعب راحة
ورغم بعد المسافات التي تفصلك عن ابناك
في المهاجر، فان تلهف قلوبهم اليك بصير فادحا
ويصبح انتظار لقياك مثل عطش العاشقين
فهاهم يكسرون غريبتهم ويكتبون قصة العودة مع
الايام

عنكاوا .. سوف نبقي نملكك في الفؤاد ولن
نياس، الى ان ينتهي ليك وينبلج فجرك العظيم
بسام الياس سياوش